إنجيل متى ١٧: ١-٢٠

النزول من الجبل

تأليف: تومي ساوث

« وبعد ستة أيام، أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصرت ثيابه بيضاء كالنور ...

وفيما هم نازلون من الجبل، أوصاهم يسوع قائلاً: لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات ...

ولما جاءوا إلى الجمع، تقدم إليه رجل جاثياً له وقائلاً: يا سيد، ارحم ابني! فإنه يصرع ويتألم شديداً، ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء. وأحضرته إلى تلاميذك، فلم يقدروا أن يشفوه. فأجاب يسوع وقال: أيها الجيل غير المؤمن الملتوي، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ قدموه إليّ ههنا » (متى ١٧: ١-٢٠).

يخبرنا إنجيل متى ١٧: ١-٨ عما يشار إليه عادة بالتجلي. كان يسوع قد أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا « إلى جبل عال منفردين » حيث سمح لهم أن يروا سيدهم في هيئة المجد. « وتغير هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور » (١٧: ٢). رأوه واقفاً في حضور موسى وإيليا، معطي الناموس العظيم والنبي القوة العظيم في العهد القديم. ولكن صوت الله نفسه أوضح ان ظهور ابنه هذا يفوق كل من الناموس والأنبياء، إذ قال: « هذا هو ابني الحبيب ... له اسمعوا! » (١٧: ٥).

لا بد ان مشاهدة التجلي قد دفعت بطرس ويعقوب ويوحنا إلى قمة النشوة الروحية. فقد شاهدوا ما لا يتصوره أحداً على الاطلاق - وهو تجلي سيدهم، وأيضاً سمعوا صوت الله! تصور تعليقاتهم بعضهم لبعض عند نزولهم من الجبل: « هل رأيت كيف بدت وجهه؟ »؛ « لم أتصور قط بان ذلك يكون مظهر موسى! »؛ « كان صوت الآب قوي جداً حتى وقعت على الأرض! » ربما حذرهم يسوع بسبب اثارتهم ان لا يعلموا أحداً بما رأوا حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات (أنظر ١٧: ٩). عرف يسوع بانه يصعب عليهم ان يكبحوا انفسهم بعد كل هذا مما رأوا وسمعوا. من بين كل الأشياء العجيبة التي رأوها وسمعوها منذا ان اصبحوا أتباع يسوع، كان هذا هو الأكثر إشراقاً.

ولكن لا بد ان الإثارة انتهت سريعاً عندما وصلوا تحت الجبل، لأنهم وجدوا هناك مشهد قبيح: « ولما جاء إلى التلاميذ، رأى جمعاً حولهم وكتبة يحاورونهم » (مرقس ٩: ١٤). كان باقي التلاميذ التسعة الآخرون منهمكين في جدال شديد مع الكتبة، ويشرح إنجيل متى ١٧: ١٤-١٦ ما الذي كانوا يجادلون عنه. لم يستطع التلاميذ التسعة ان يطردوا الروح الشرير من الصبي الذي أتى به أبوه لهم لكي يشفوه. لا بد بان هذا قد سبب « شعور جنوني » للكتبة الذين لم يضيعوا الفرصة لكي يضعوا تلاميذ يسوع في موقف سيء.

تصرف يسوع بسرعة. أولاً، وبخ الجموع غير المؤمن، إذ قال: « أيها الجيل غير المؤمن الملتوي، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ قدموه إليّ ههنا ». فانتهر يسوع الروح النجس الذي خرج منه حالاً. عندما أخذ التلاميذ يسوع على الانفراد ليسألوه لماذا لم يستطيعوا ان يطردو الروح النجس، وبخهم أيضاً بسبب قلة إيمانهم. يبدو انهم كانوا يحاولون طرد الروح الشرير بقوتهم، ونسوا انه بواسطة سيدهم فقط تكون لهم القوة. يظهر هذا

في التوبيخ عن «قلة» إيمانهم.

خبرة «قمة الجبل»

هل مررت قط بخبرة قمة الجبل {قمة النشوة}؟ احد هذه الاختبارات الروحية غير العادية، عادة ما تكون لها صلة بالعبادة، حيث تشعر بانك قريب من الله أكثر من ذي قبل في حياتك؟ قد مر معظم المسيحيون بهذا مرة أو أكثر في وقت ما: ربما خلال وقت التأملات، أو أوقات الصلاة بالحاح مع الإخوة المسيحيين، أو خلال خدمة عبادة خاصة التي تشجع الروح، أو في وقت حاجة شديدة في حياتك عندما استجاب الله لصلواتك بطريقة عجيبة. ربما في فترة من الزمان في حياتك عندما بدى كل شيء على ما يرام إذ انتابك شعور خاص بالتوجيه الإلهي. مثل هذه الخبرات تشجعنا عندما نصيب باحباط ونذكرها باعتزاز.

المشكلة الوحيدة في «خبرة القمة» هي انه لا يمكنك أن تعيش على «القمة» للأبد! فان اختبارات القمة لا تدوم. بغض النظر عن مدى تأثيرها، مثل بطرس ويعقوب ويوحنا، عليك أن تنزل إلى الأرض عاجلاً أم آجلاً، إلى مساعي الحياة اليومية. وسريعاً ما نتعلم ان نشوتنا الروحية لم تبيد عدم الإيمان، والشك، والمرض، والكرب، والانتقاد، وخيبة الأمل – ليس لأنفسنا بقدر ما هو للعالم. انه لم يحدث في قمة الجبل بل تحت حيث يتحمل إيمانك؛ ان المعارك تنشب في الأسفل.

قمة الجبل هي استثناء. لهذا لا تخيب آمالك انك لا تمكث هناك ٣٦٥ يوماً في السنة. هذه هي المشكلة من وجهة النظر المسيحية المختبرة جداً: انها توعد بقمة النشوة كل يوم وهذا أمر غير معقول. كان هناك ثلاثة فقط في قمة الجبل وتسعة تحت الجبل؛ ولم يبقى الثلاثة فوق الجبل لمدة طويلة!

خبرة «الوادي»

الحياة «أسفل الجبل» في الخبرة اليومية للإنسان تكون أصعب من الوجود في قمة الجبل. وهذا يتطلب صفات خاصة – أي اعتماد كلي على يسوع.

عند قراءة متى١٧: ١٩ و ٢٠، يبدو ان التلاميذ التسعة قد حاولوا طرد الروح الشرير من تلقاء أنفسهم. ولأنهم لم يعتمدوا على قوة المسيح، كانوا يظهرون ويشعرون كانهم قد فشلوا، وأسرع اعداءهم باظهار ذلك. اذكر ان يسوع كان قد أعطى التلاميذ هذه القوة، واختبر التلاميذ هذه القوة في عدة مناسبات (١٠: ٥–٨). قد تكون تجاربهم السابقة هي التي جعلتهم يظنون: «يمكننا أن نتعامل مع ذلك». ونتيجة لذلك، وجدوا أنفسهم «منفصلين» من مصدر قوتهم الحقيقي الذي هو يسوع سيدهم. كثيراً ما نرتكب الخطأ نفسه. نصير مثل أجهزة كمبيوتر غير الموصلة بمصدر تيار كهربي – غير قادرين ان نفعل ما يمكن ان نفعله إذا كنا موصلين بمصدر قوتنا الروحية. نعجز عن مقاومة التجربة، غير قادرين ان ننمو روحياً، غير قادرين ان نؤثر على حياة الآخرين بالتقوى.

ليس يسوع مخلص على الـ«قمة» فقط، بل كان مع تلاميذه ما إذا كانوا على القمة في قمة النشوة أم تحت في اضطراب. هو يحبنا ولا يقل حبه لنا إذا كنا «في حفرة» عن حبه عندما نكون في قمة الإثارة الروحية (رومية ٨: ٣٥–٣٩).

السؤال

هذا يطرح السؤال: ما دام اختبارات قمة الجبل تتلاشى هكذا سريعاً، فهل يجب أن نطلبها أو نرغب فيها؟

بما انه ليس من الحكمة طلب مثل هذه الاختبارات، فانه ليس من الخطأ إذا رغبنا فيها. فانها قد تكون ذات أهمية كبيرة لنا روحياً، كأوقات ذات أهمية خاصة في علاقتنا مع الله. ولكن تحدث مثل هذه الخبرات عادة بغير توقع. وليس اننا نحاول ان نخلقها. لم يجعل بطرس ويعقوب ويوحنا التجلي يحدث. أتت خبرة القمة بالنسبة إليهم لأنهم كانوا قريبين من يسوع. هكذا أيضاً تأتي إلينا التجارب الرائعة. عندما نمكث قريباً من الرب يوماً بعد يوم، ستكون لدينا لحظات مثيرة.

الخلاصة

الأكثر أهمية من خبرة قمة الجبل هو ان تتعلم كيف تعيش حيث توجد – حتى عندما تكون أسفل الجبل – بالقوة التي يعطيها المسيح. تجعلنا المسيحية قادرين ان نعيش حياة النصر في وادي الأشياء التي نختبرها يوماً بعد يوم.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧